

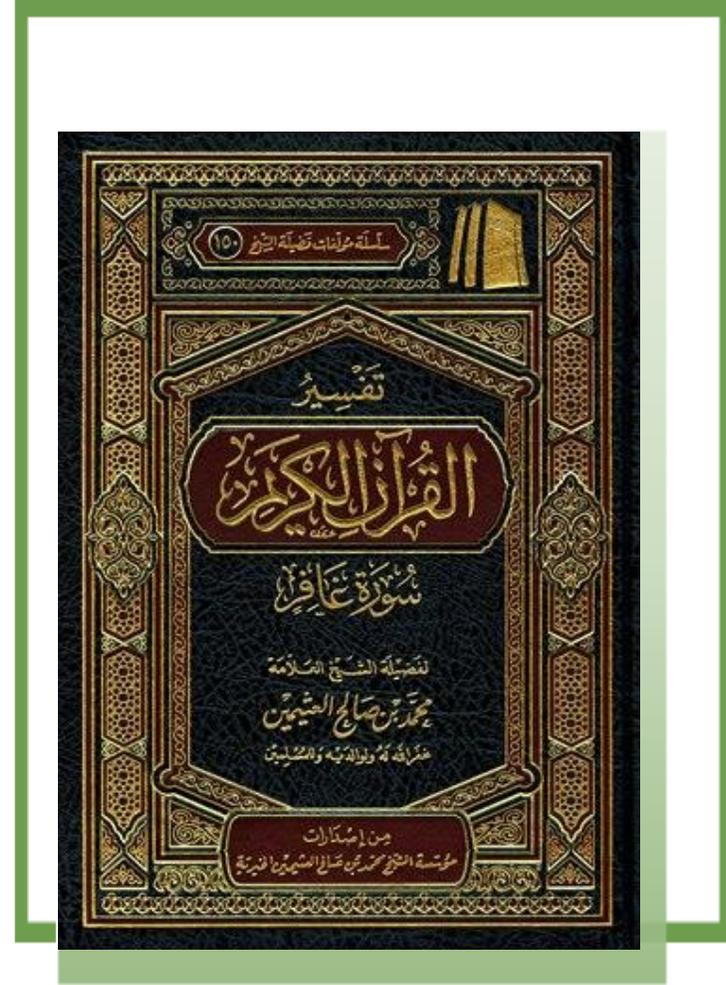
سلسلة
فوائد من تفسير القرآن العظيم

[سورة غافر]

مستقاة من كتاب (تفسير القرآن الكريم)
للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

الناشر: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

جمع واختيار
منى الشمري

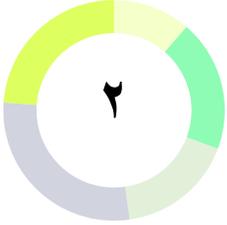




فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير} [غافر: ٣]

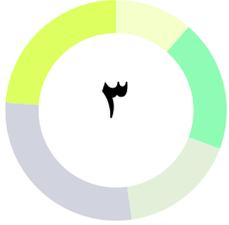
- ما هي الأسباب التي تكون بها المغفرة؟
- الجواب: الأسباب كثيرة؛ منها: الاستغفار، تقول: اللهم اغفر لي، ومنها: أعمال صالحة يكفر الله بها الخطايا، ومنها: إحسان إلى الخلق، حتى إن الله عز وجل غفر لامرأة بغي بسقيها كلبا عطشان، وغفر لرجل وجد شجرة في الطريق تؤدي الناس فأزالها، فغفر الله له.
- المهم: أن نتعرض لأسباب المغفرة؛ لأن ذلك مقتضى قوله: {غافر الذنب}.
- الحذر من التعرض لعقابه، وقد قال الله عز وجل لنبيه: {نبئ عبادي أنني أنا الغفور الرحيم (٤٩)} وأن عذابي هو العذاب الأليم} [الحجر: ٤٩، ٥٠]



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد} [غافر: ٤]

- حرص الكفار على إبطال الحق بالمجادلة والمجادلة، فالمجادلة كما في الآية، والمجادلة: إذا عجزوا عن إبطال الحق بالجدل أبطلوه بالقتال، كما في آيات أخرى.
- الحذر من مجادلة الكفار، إذا كان ليس عند الإنسان سلاح، أي: لا تدخل مع الكفار في جدل إذا لم يكن لديك سلاح، لأنك سوف تهزم، وهزيمتك ليست هزيمة شخصية لكنها هزيمة للإسلام.
- أنه ينبغي لنا أن نعرف معايب الكفار وأقوالهم حتى يمكننا أن نجادلهم؛ لأن الجدل كما قلنا فيما سبق: المنازعة، كل واحد ينازع الآخر ليفتل كلامه أمامه حتى يشتد عليه، فلا بد أن تعرف ما هم عليه من الباطل من أجل أن تحاجهم فيه، يعني: لا يكفي في مجادلة الكفار أن تعرف الحق الذي أنت عليه، بل لا بد أن تعرف الباطل الذي هم عليه.



{ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد} [غافر: ٤]

■ تحذير المؤمن أن يغتر بما أنعم الله به على هؤلاء الكفار من التقلب في الدنيا حيث شاءوا؛ لقوله: {فلا يغررك تقلبهم في البلاد}.

■ بيان سفه أولئك الذين أغروا واغتروا بالكفار، بيان سفهم في العقول وضلالهم في الدين، فإن بعض المسلمين ضعفاء الإيمان انبهروا مما عليه الكفار، وظنوا أن ما هم عليه من تحلل الأخلاق، وفساد العقائد والكفر، هو الذي أوجب أن يكونوا على هذا المستوى من التقدم المادي، فانبهروا بذلك، وانفلتوا من الدين

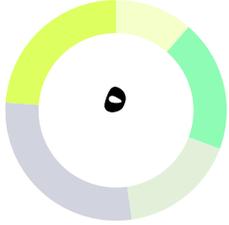
■ مهما طال الأمد بهؤلاء الكفار، فإن مآلهم الهلاك والبوار، وانظروا الآن: كل الكفار السابقين ذهبوا إلى النار؛ لأننا نشهد بالله أن كل كافر في النار، فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر انتقلوا من الدنيا التي جعلت لهم جنة إلى النار، والعياذ بالله.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

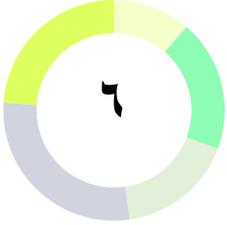
{وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب} [غافر: ٥]

- تحريم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق، لقوله: {وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق} [غافر: ٥].
- ويتفرع على هذا: أن هذه العادة من عادات المكذبين للرسول، ومن المجادلة بالباطل لإدحاض الحق أن يجادل الإنسان للانتصار لقوله، وهذا يقع كثيرا في المتفكحة والمتكلمة وغيرهم، يجادلون بالباطل من أجل الانتصار للقول، كما قال تعالى: {يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون} [الأنفال: ٦]، فمن جادل من أجل أن ينصر قوله لا أن ينصر الحق ففيه شبه من المكذبين للرسول الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق.
- ثم إن فيه - أي في الذي يجادل لنصر قوله فقط - أنه قد عرض نفسه لأمر عظيم جدا، وهو قوله تعالى: {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١٠)} [الأنعام: ١١٠]، فإن الإنسان إذا جادل لنصرة قوله فإنه يكون لم يؤمن به أول مرة، وحينئذ يبتلى بهذه العاهة العظيمة أن الله يقلب فؤاده وبصره حتى لا يبصر الحق، ولا يعي الحق ويكتنم الحق؛ لأنه لم يؤمن به أول مرة.



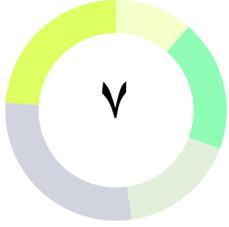
{وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار} [غافر: ٦]

- إثبات تقدير الله عز وجل الأشياء، أي: إثبات أن الأشياء قد كتبت من قبل؛ لقوله: {حقت كلمت ربك}، وهذا لا ينافي إرسال الرسل، ولا ينافي الأمر بما أمر به، ولا النهي عما نهى الله عنه؛ لأن الله تعالى أعطى الإنسان عقلا ورشدا وبصيرة يعرف كيف يتصرف، فإذا أرسلت الرسل مع الفطرة الأولى ثم عاند فقد قامت عليه الحجة.
- التحذير مما يوجب غضب الله وسخطه؛ لئلا يكون الرجل قد حقت عليه كلمة الله عز وجل؛ لأن قوله: {وكذلك} هو أي: مثل ذلك الذي حصل لهؤلاء المكذبين يحق كلمة الله عز وجل.
- {كلمت ربك}، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى يتكلم بكلام مسموع وبحرف، يعني أنه يسمع ويفهم بحروف مرتبة



{الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا} [غافر: ٧]

- إثبات العرش، وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم في آيات عديدة، ووصفه بأنه كريم، وبأنه عظيم، وبأنه مجيد.
- إثبات أن لهذا العرش حملة؛ لقوله: {الذين يحملون العرش} [غافر: ٧]، وإثبات الحملة له مع قدرة الله سبحانه وتعالى على إمساكه بدون حملة إشعار بتعظيمه، وأنه عظيم معتنى به؛ ولهذا نجد أن الله قال في السموات بغير عمد، ولم يذكر لها حملة، والعرش ذكر له حملة مع أن الذي أمسك السموات والأرض أن تزولا قادر على إمساك العرش بلا حملة، لكن هذا من باب التعظيم والتتويه بشرفه وعظمته.
- تعظيم هؤلاء الذين يحملون العرش، والذين حول العرش، للرب عز وجل؛ لقوله: {يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به}



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم} [غافر: ٧]

- تسخير الله عز وجل للمؤمنين أن تستغفر لهم الملائكة، وليس الملائكة مطلقا، بل الملائكة المقربون؛ لقوله: {ويستغفرون للذين آمنوا} [غافر: ٧].
- الحث على الإيمان حتى تدخل في ضمن من تستغفر لهم الملائكة، والإيمان كله خير وسرور ونعمة في القلب، ونعمة في البدن، حتى البلاء الذي يصيب المؤمن هو له خير؛ فلهذا نقول: احرص على تحقيق إيمانك بفعل الوسائل التي تمي هذا الإيمان وتغذيه وتقويه.
- التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بصفاته، كما يتوسل إليه بأسمائه، فهنا توسل الملائكة إلى الله بالربوبية في قولهم: {ربنا} وتوسلوا إليه بسعة الرحمة {وسعت كل شيء رحمة}، وبسعة العلم {وعلما}، والتوسل إلى الله تعالى بصفاته من أسباب إجابة الدعاء، كالتوسل إليه بأسمائه.



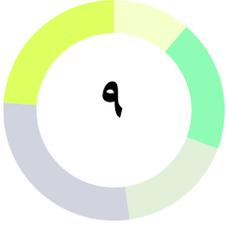
فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم} [غافر: ٨]

■ الاحتراز في الدعاء عن التعميم؛ لقولهم: {ومن صلح من آبائهم وأزواجهم}، ومن ذلك قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {وارزق أهله}؛ أي: أهل المسجد الحرام، {من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر}، أهله، ثم أبدل منها قوله: {من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر} فاحترز.

■ ولكن الله تعالى قال: {ومن كفر} يعني: ارزق من في هذا البلد، ولو كانوا كفارا، لكن: {ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير} [البقرة: ١٢٦].

■ المهم: أنه ينبغي للإنسان في الدعاء أن يحترز من التعميم الذي قد يتناول من لا يستحق الدعاء، فيكون في دعائه هذا نوع من الاعتداء.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم} [غافر: ٩]

- مقام الدعاء ينبغي فيه البسط لعدة أسباب:
- السبب الأول: أن الدعاء عبادة، فكلما بسطت فيه ازددت تعبداً لله، وازددت ثواباً وأجراً.
- الثاني: أن البسط فيه التفصيل، والتفصيل خير من الإجمال؛ لأن الإجمال قد ينسى الإنسان فيه أشياء مهمة، ولا تطراً على باله، لكن إذا فصل تبين الأمر.
- الثالث: أن التفصيل في الدعاء انبساط مع الله عز وجل؛ لأن الداعي يناجي ربه.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة غافر

{إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون} [غافر: ١٠]

- بيان أن الكافرين يوبخون يوم القيامة توبيخاً يزيدهم ألماً إلى ألمهم؛ لقوله: {لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم}.
- أنهم تبين لهم ما هم عليه من الضلال والكفر حين رأوا العقاب، وجهه: أنهم مقتوا أنفسهم في ذلك الوقت حين رأوا العذاب، وهذا يدل على أنهم تبين لهم الضلال في ذلك اليوم.
- أن الإنسان قد يكره نفسه، ويكون ذلك إذا رأى من تصرفه ما يسوؤه، فإنه يكره نفسه ويقول: هذا من النفس الأمارة بالسوء.
- أن الحجة قد قامت على هؤلاء المكذبين المعذيين؛ لقوله: {إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون}



{إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون} [غافر: ١٠]

- إثبات المقت لله؛ أي: أن الله يمقت. أي يبغض. هذا على ما مشى عليه المفسر من أن (مقت) مضافة إلى الفاعل.
- وإذا قلنا بالقول الراجح: لم يكن في الآية دليل على أن الله يمقت، لكن الدلالة على أن الله يمقت وأن له مقتا من أدلة أخرى، مثل قوله تعالى: {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} [الصف: ٣]، والمقت: أشد البغض، والبغض هو من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته وإرادته.



{ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرک به تؤمنوا فالحکم لله العلي الكبير} [غافر: ١٢]

- حکم الله تعالى ينقسم إلى قسمين: كوني وشرعي.
- فالكوني: ما قضى به على عباده كونا وتقديرا.
- والشرعي: ما قضى به على عباده شرعا وتنظيما.
- والحکمان موجودان في القرآن جميعا، فمن الحكم القدري قوله تبارك وتعالى: {فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحکم الله لي} [يوسف: ٨٠]، ومن الحكم الشرعي قوله تعالى: {ذلكم حکم الله يحکم بينکم والله عليم حكيم} [المتحنة: ١٠].
- والفرق بينهما:
- الفرق الأول: أن الحكم الشرعي يرضاه الله عز وجل، والحکم الكوني يتعلق بما يرضاه وبما لا يرضاه.
- والفرق الثاني: أن الحكم الشرعي قد يقع من المحكوم عليه وقد لا يقع، وأما الحكم الكوني فإنه لا بد أن يقع، فإذا حکم الله على شخص بموت، أو مرض، أو فقر، أو عاهة، أو غير ذلك وقع، ولا بد، وإذا حکم الله على شخص بأن يؤمن ويعمل صالحا فقد يقع وقد لا يقع. وقوله: {فالحکم لله} هنا يشمل الأمرين جميعا.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب} [غافر: ١٣]

- أن ما تتغذى به الروح أهم مما يتغذى به البدن؛ لأنه سبحانه قدم إراءة الآيات على الرزق الذي ينزل من السماء، وهذا يدل على أنه أهم، وهو كذلك، هذا هو الواقع؛ وذلك لأن فقد الغذاء البدني لا يكون فيه إلا شيء لا بد منه وهو الموت الذي لا بد منه، حتى لو كان الإنسان في أنعم ما يكون من نعيم البدن، وأترف ما يكون فلا بد أن يموت، لكن غذاء الروح هو الذي يحتاج إلى معاناة ومعالجة، وبفقدته يكون الهلاك في الدنيا والآخرة.
قال الله تعالى: {قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة} [الزمر: ١٥]،
- أن الآيات والرزق والعطاء لا ينتفع به إلا من أناب إلى الله، أما من لم ينب إلى الله فإن الله يقول: {وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون} [يونس: ١٠١].



{فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون} [غافر: ١٤]

- مراغمة الكفار في الإخلاص لله وفي العمل؛ لقوله: {ولو كره الكافرون}، وينبني على ذلك أنه يجب على الإنسان أن يقوم بالواجب ولو كره ذلك غيره، ولا يحابي أحدا في هذا، فمثلا إذا كره أبو الشاب أن يصلي ابنه مع الجماعة - كما يوجد الآن - فلا يداهن أباه في ذلك، يصلي مع الجماعة ولو رغم أنف أبيه، ولو كره ذلك.
- وهناك فرق بين المداراة والمداهنة، المداراة: أن يفعل الإنسان ما يلزمه مع التكتّم عن الشخص الآخر الذي يكره؛ ولهذا سميت مداراة من الدرء وهو الدفع. وأما المداهنة: فأن يوافق في ترك ما يجب مداهنة له، مأخوذة من الدهن؛ لأنه يلين، فنقول: يتفرع على هذه الفائدة: أن الإنسان يفعل ما يلزمه، ولو كره ذلك غيره، ولو كان الكاره أقرب أهله إليه.



{رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق} [غافر: ١٥]

- أن العلماء لهم حظ ونصيب من الروح التي يلقيها الله تعالى على الرسل؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فلهم حظ ونصيب من هذه الروح التي يلقيها الله على من يشاء، لكن لهم حظ من هذه الهداية - هداية الدلالة والبيان - ثم قد يكون لهم حظ من هداية التوفيق وقد لا يكون؛ لأن العالم قد يعمل بعلمه فيكون له حظ من الهدايتين: هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، وقد لا يعمل بعلمه فيكون له حظ من هداية العلم والإرشاد، لكنها صارت وبالاً عليه؛ حيث خالف مع العلم بالحق، وهذا أشد ممن خالف بدون علم بالحق.
- أن الوحي الذي ينزله الله - عز وجل - على من ينزله من عباده الحكمة منه إنذار الناس يوم القيامة {لينذر يوم التلاق}.
- إثبات الحكمة لله، وأن أفعاله مقرونة بالحكمة؛ لقوله: {لينذر}، وما أكثر لام التعليل و (من) التعليلية في القرآن، وكذلك في السنة، وكلها تدل على إثبات الحكمة لله.

{رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق} [غافر: ١٥]

- ينبغي لمن آتاه الله علما أن يكون منذرا، يعني: يجمع بين العلم والتفقيه في الدين وبين الإنذار؛ لأنه إن اقتصر على مجرد التعليم الفقهي مثلا، أو التوحيد بدون أن يحرك القلوب لم يستفد الناس منه كثيرا، فلا بد أن يكون هناك إنذار من أجل تحريك القلوب، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم.
- التحذير من خزي يوم القيامة؛ لأنه يوم التلاق، ولا شك أن العقوبة إذا كانت لا يطلع عليها إلا القليل أهون مما إذا اطلع عليها الكثير، فكيف إذا اطلع عليها الخلق كلهم؟! تكون أشد وأعظم.
- إثبات قدرة الله - سبحانه وتعالى -؛ حيث يجمع الله الخلق كلهم على صعيد واحد بعد الموت، والله - سبحانه وتعالى - على كل شيء قدير.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار} [غافر: ١٦]

■ أن الناس يبرزون يوم القيامة لا يظلمهم شجر، ولا مدر، ولا بناء، ولا جبل، ولا غير ذلك؛ لقوله: {يوم هم بارزون}.

■ أنهم في ذلك اليوم لا يخفى على الله منهم شيء؛ لأنه محيط بهم علما وقدرة وسلطانا.

■ فإن قال قائل: هل يستثنى من قوله: {يوم هم بارزون} أحد؟

■ فالجواب: نعم، يستثنى من يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهم سبعة، بل هم أكثر، بلغوا إلى واحد وعشرين رجلا، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - جمع سبعة في حديث واحد، وهو حديث مشهور معروف: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:



{اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب} [غافر: ١٧]

- أن النفس لا تجازى إلا بما كسبت، ويكون الكسب إما بالقول، وإما بالعمل، أما مجرد النية فليست كسباً، أو مجرد حديث النفس فليس بكسب، فالكسب قول أو عمل؛ لأن الإنسان لم يركن إليه، ودليل ذلك قول النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم"
- إثبات المحاسبة: أن الله يحاسب الخلائق، وهذا كما أنه مدلول النصوص فهو مقتضى الحكمة؛ إذ ليس من الحكمة أن يؤمر الناس وينهوا ثم يذهب هذا الأمر والنهي هدرا لا يحاسب عليه العبد، هذا في الحقيقة لو ثبت لكان عبثاً، والله تعالى منزّه عنه، كما قال تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} [القيامة: ٣٦]، فلا بد من مجازاة، لا بد من محاسبة حتى يتبين ما للإنسان وما عليه.



{اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب} [غافر: ١٧]

■ كيف يكون الحساب؟

■ فالجواب: الحساب يختلف باختلاف المحاسب:

■ أما المؤمن: فإن الله تعالى يضع عليه كنفه؛ أي: ستره، ويخلو به ويقرره بذنوبه، ويقول: فعلت كذا وكذا في يوم كذا. حتى يقر، فإذا أقر واعترف، قال الله تعالى: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيذهب طليقا.

■ أما الكفار: فإنهم لا يحاسبون حساب من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنهم ليس لهم حسنات، ولكن تحصى أعمالهم فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويخزون بها، ويوبخون عليها {ألم يأتكم نذير (٨) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير} [الملك: ٨ - ٩]، فيوبخون زيادة في حسرتهم - والعياذ بالله - وبيان أنهم لم يظلموا، فالحساب إذن يختلف.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} [غافر: ١٨]

■ ينبغي للداعية أن يكون مخوفا أحيانا ومبشرا أحيانا، أما البشارة أحيانا ففي آيات كثيرة، {وبشر المؤمنين} [الصف: ١٣]، {وبشر الذين آمنوا} وما أشبه ذلك، وأما الإنذار فكذلك في مثل هذه الآية؛ فالداعية ينبغي أن يكون منذرا مبشرا من أجل أن يحرك القلوب.

■ ينبغي في الإنذار أن يذكر الناس أحوال يوم القيامة وأهوالها؛ لقوله: {وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب}.

■ أن القيامة قريبة؛ لقوله: {يوم الآزفة} والقرب هنا يعني أن الوقت يمضي بسرعة؛ حتى لا يشعر الإنسان إلا وقد قامت القيامة، إما قيامته هو، وتسمى القيامة الصغرى، أو القيامة العامة.



{وأذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} [غافر: ١٨]

- أن القلوب عند شدة الخوف ترتفع حتى تبلغ الحناجر، وهذا يشهد به الواقع، قال الله - تبارك وتعالى - في سورة الأحزاب: {وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر} [الأحزاب: ١٠]، والإنسان في نفسه أيضا يحس أنه إذا خاف خوفا شديدا، وكأن قلبه قد علق في حنجرتة.
- أن الناس في ذلك اليوم مع شدة الخوف يمتلئون غما؛ لقوله: {كاظمين}، والغم هو: التحزن، أو التهيؤ لما يستقبل، فالغم في المستقبل، والهم والحزن في الماضي.
- تقطع الأسباب بالظالمين؛ فلا يجدون حميما ولا شفيعا؛ لقوله: {ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع} [غافر: ١٨]، والمراد بالظالمين ما سبق، وهم الكافرون.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور} [غافر: ١٩]

- خيانة العين مسارقتها النظر إلى الشيء المحرم، يعني: أن الإنسان قد ينظر إلى شيء محرم، وجليسه إلى جنبه لا يشعر بذلك؛ لأنه يسارقه النظر؛ كأنما يتحين الفرص في غفلة صاحبه؛ حتى ينظر إلى ما حرم الله - عز وجل -، هذه واحدة.
- ثانياً: قد ينظر الإنسان النظر بدون مسارقة بل بمجاهرة، ولا يحس جليسه أنه ينظر نظراً محرماً، لذلك حذر الله - عز وجل - من هذه الحال.
- دقة علمه، ولطف علمه بأنه يعلم حتى هذه الحال التي لا يعلمها الناس الذين يشاهدون، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.



{كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق} [غافر: ٢١]

- أن قوة الله سبحانه وتعالى فوق كل قوة، فإنه قال: {كانوا هم أشد منهم قوة} ومع ذلك أخذهم الله عز وجل ذلك؛ لأن الله تعالى إذا أراد شيئا قال له: كن. فيكون، لا يحتاج إلى أحد يساعده، ولا يحتاج إلى صنع قنابل أو مدافع، بل: كن فيكون، انظروا إلى عاد افتخروا بقوتهم، فأهلكهم الله تعالى بالطف الأشياء سخر عليهم الريح، ولم يسخرها لهم، بل سخرها عليهم، والريح من أطف الأشياء، فدمرتهم {تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم} [الأحقاف: ٢٥] ، حتى كانوا كأعجاز نخل خاوية.
- أن الله تعالى إذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له، لقوله: {وما كان لهم من الله من واق} [غافر: ٢١] ، وقد بين الله ذلك صريحا في قوله: {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له} [الرعد: ١١] ، لا يقي دون ما أراد الله، لا قصور، ولا مدافع، ولا طائرات، ولا أي شيء {وما كان لهم من الله من واق}.



{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين} [غافر: ٢٣]

■ أن الله سبحانه وتعالى يكرر ذكر قصة موسى، ويبسطها تارة، ويختصرها تارة، وينوعها، فهي جمعت بين الكثرة والتنوع من حيث الأسلوب، والتنوع من حيث البسط والاختصار؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاش في قوم مشركين أول الرسالة، وفي قوم يهود بعد الهجرة؛ ولهذا جاءت السور المكية يذكر فيها قصة موسى ببسط واختصار تارة؛ لأجل أن يتهياً النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لمجادلة اليهود الذين ستكون الهجرة إلى بلد هم ساكنون فيه؛ ولهذا لا تجد قصة نبي مثل قصة موسى عليه الصلاة والسلام لا في تنوعها، ولا في تكرارها، ولا في أسلوبها.

■ أن موسى أوتي سلطاناً؛ أي: سلطة وقوة في إقامة الحجة، وفي غير ذلك؛ لقوله: {وسلطان مبين} ، وإذا أردت أن تعرف شيئاً من سلطانه الذي آتاه الله، فانظر إلى محاورته في سورة الشعراء مع فرعون، حيث أجمه وألقمه حجراً، وفي النهاية توعدته بالقوة؛ فقال فرعون: {لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين} [الشعراء: ٢٩] ، هذه كلمة إرهاب، {لأجعلنك من المسجونين} أشد إرهاباً مما لو قال: لأسجنك. كأنه يقول: عندي أناس سجناء كثيرون، وأنا قادر على سجنك، وسأجعلك من بينهم، فيكون هذا أشد في الإرهاب مما لو قال: لأسجنك.



{وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم} [غافر: ٢٨]

■ ينبغي العناية بمضمون القصة، دون عين من وقعت عليه؛ لقوله: {وقال رجل مؤمن} وإلا فنحن نعلم أن الله يعلم من هذا الرجل، ويعلم اسمه ونسبه، وكل شيء يتعلق به، لكن الله تعالى ذكره إبهاما، إشارة إلى أن المهم مضمون القصة دون عين من وقعت عليه، إلا إذا كان في تعيينه مصلحة، فالمصلحة ذكره وتعيينه.

■ أنه قد يكون من صلب المعادين من هو من الأولياء؛ لقوله هنا: {من آل فرعون} [غافر: ٢٨]، سواء قلنا: من قرابته، أو من أتباعه على دينه؛ فإنه يدل على أن الله على كل شيء قدير، وأنه قد يقيض أو يهيئ الإيمان لمن كان بين قوم منغمسين في الكفر.

■ جواز إخفاء الإيمان؛ إذا خاف الإنسان على نفسه؛ لقوله: {يكتم إيمانه} [غافر: ٢٨]، ولكن إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش مؤمنا إلا بالكتمان، فتجب عليه الهجرة ولكن بشرط أن يكون قادرا عليها.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة غافر

{وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم} [غافر: ٢٨]

- العدول عن التعيين خوفاً من التهمة، أو إن شئت فقل: استعمال المعارض؛ لقوله: {أتقتلون رجلاً} ولم يقل: أتقتلون موسى؛ لأنه لو عينه باسمه لاتهمه الناس بأن له صلة به، وفسد ما يريد، لكنه أبهمه وقال: {أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله} إلى آخره.
- مراعاة الخصم فيما يؤلفه ويقربه، لأنه بدأ بما كانوا يعتقدون، وهو كذب موسى، فبدأ بالكذب قبل أن يبدأ بالصدق من أجل تأليفهم، وبيان أن الرجل ليس عنده تعصب لموسى؛ ولهذا لم يبدأ بالصدق الذي هو أحد الاحتمالين.



{يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا} [غافر: ٢٩]

- حسن خطاب هذا الرجل المؤمن، حين تلتطف في الدعوة إلى الله عز وجل بقوله: {يا قوم}.
- أنه ينبغي للداعية أن يذكر المدعويين بنعمة الله عليهم، حتى يخضعوا ويشكروا هذه النعمة، بقوله: {لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض}.
- حسن احتراز هذا الرجل المؤمن؛ لقوله: {لكم الملك اليوم} يعني: وأما في المستقبل قد يزول ملككم، لكن اشكروا النعمة الحاضرة.
- أن الاعتبار في الحال بما هي عليه الآن، أما المستقبل فقد تتغير الأحوال، لكن نحن مخاطبون ومأمورون أن ننظر إلى الحال الحاضر الآن.



{الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا} [غافر: ٣٥]

- كراهة الله سبحانه وتعالى للذين يجادلون في آيات الله لأجل إبطالها؛ لقوله: {الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله}.
- أنه لا سلطان لكل إنسان جادل لإدحاض الحق وإظهار الباطل، يؤخذ من قوله: {بغير سلطان}.
- تقوية قلوب المجادلين بالحق؛ لأن الجدل يكون من طرفين؛ فالمجادل في آيات الله لإبطالها هذا لا حجة له؛ ويكون الخصم المقابل للآخر يكون له حجة.
- فإذن: إذا علم المجادل الذي يريد إثبات الحق وإبطال الباطل أنه لا سلطان لخصمه، فإنه سوف يقوى قلبه، ويزداد ثباتاً؛ فيستفاد منه بطريق المفهوم أن المجادل في آيات الله لإثباتها سيكون معه السلطان والقوة



{يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار} [غافر: ٣٩]

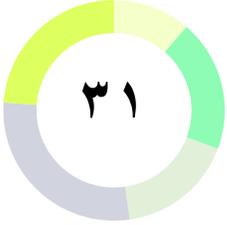
- بيان حال الدنيا، وأنها متاع يتمتع بها الإنسان ثم تزول، إما بزوال هذا التمتع، وإما بزوال المتمتع؛ ولهذا انظر مصارع الدنيا هل فيها أحد خلد؟ وهل فيها أحد خلد له ما بين يديه؟ كل ذلك لم يكن، فالدنيا إما زائلة وإما أن يزال عنها، قال الله تعالى: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون (٣٤)} [الأنبياء: ٣٤].
- انحصار الدنيا في هذه الكلمة القليلة، وهي {متاع} كل الدنيا متاع، لا تتحمل أكثر من ذلك.
- الاستعداد والرغبة في الآخرة، لقوله: {وإن الآخرة هي دار القرار} [غافر: ٣٩]، فإذا اجتمع هذا إلى ما قبله صار متضمنًا لفائدتين: وهما الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة غافر

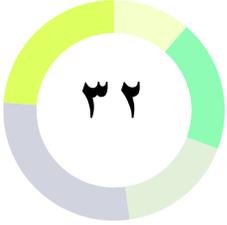
{من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب} [غافر: ٤٠]

- لا يقبل العمل إلا إذا كان صالحا ولا ينفع صاحبه إلا إذا كان صالحا، وذكرنا أن الصالح من اجتمع فيه شروط القبول، وهما الإخلاص والمتابعة؛ فبفقد الإخلاص يكون الإنسان مشركا، وبفقد المتابعة يكون الإنسان مبتدعا؛ ولهذا لا يقبل العمل إلا الخالص الموافق للشرع، فبفقد الإخلاص يقع الإنسان في الشرك، وبفقد المتابعة يقع الإنسان في البدعة.
- أن عمل السيئة لا يزداد إثما على قدر السيئة؛ لقوله هنا: {من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها}.
- أنه في مقام التهديد ينبغي أن يبدأ بما يدل على التهديد قبل أن يبدأ بما يدل على الترغيب؛ لأنه هنا بدأ بالسيئة، ثم أعقب بالصالح.
- أن رزق الجنة ليس فيه حساب، يعني: أنه لا يطلب من الإنسان عوض، ولا يلحقه تبعة؛ لقوله: {يرزقون فيها بغير حساب}.



{فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب} [غافر: ٤٥]

- أن الله سبحانه وتعالى يكفي من توكل عليه، فيحميه من عدوه؛ لقول الله تعالى: {فوقاه الله سيئات ما مكروا}.
- التحذير من أعداء المسلمين؛ لقوله: {ما مكروا}، وأن أعداء المسلمين قد لا يواجهونهم بالعداوة، ولكنهم يمكرون بهم، فليحذر المؤمن مكر أعداء الله، وهذا في القرآن كثير، قال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠)} [الأنفال: ٣٠]، وقال تعالى: {إنهم يكيدون كيدا (١٥) وأكيد كيدا (١٦) فمهل الكافرين أمهلهم رويدا} [الطارق: ١٥ - ١٧].
- أن الله تعالى يجازي المحسن بإحسانه ويجازي المسيء بإساءته، وتكون إجازة المسيء بإساءته في الحقيقة مجازاة للمحسن؛ لأن أخذ أعدائك بالعذاب هو في الحقيقة انتصار لك وأنت تفرح بذلك.



{إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} [غافر: ٥١]

- إثبات الأشهاد يوم القيامة، لقوله: {ويوم يقوم الأشهاد}.
- التحذير من مخالفة الرسل من ذلك اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد؛ لأن في ذلك اليوم لا يستطيع أحد أن يكذب. يعني لو أن الإنسان أنكر وكذب فستشهد عليه جوارحه، قال الله تعالى: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللّٰه ربنا ما كنا مشركين} [الأنعام: ٢٣]، يقولون هذا؛ لأنهم يشاهدون المخلصين ينصرون يوم القيامة، فيقولون: {واللّٰه ربنا ما كنا مشركين} رجاء أن ينجوا معهم، يقول الله عز وجل: {انظر كيف كذبوا على أنفسهم} [الأنعام: ٢٤]، هم كذبوا على أنفسهم؛ لأنهم يقولون: {واللّٰه ربنا ما كنا مشركين} وهم مشركون، بل قال الله تعالى: {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون} [الأنعام: ٢٨].



{يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار} [غافر: ٥٢]

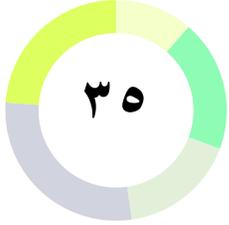
- أن الظالمين لا ينفعهم العذر ولا الاعتذار يوم يقوم الأشهاد؛ لقوله: {يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم}.
- أن الكافرين ظلمة، وهو كذلك، والشرك بالله أظلم الظلم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام حين سئل أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندا وهو خلقك" وهذا حق، فالذي خلقك وأعدك وأمدك ثم تشرك به، هذا أظلم ظلم، إن الإنسان لو أهدى إليه شخص عشرة ربيالات لاستحى أن يناله بسوء، فكيف بمن أهدى إليك حياتك كلها، كيف تشرك به وتكفر به؟! إذن هو -أعني: الشرك- أظلم الظلم.
- أن الكافرين يوم القيامة يعتذرون، ولكن لا يقبل؛ لقوله: {يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم}.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار} [غافر: ٥٥]

- الأمر بالصبر، وهو هنا للوجوب، والصبر ثلاثة أنواع - كما قاله العلماء رحمهم الله - : صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة؛ والأول هو الأكمل، ثم الثاني، ثم الثالث.
- فالصبر على طاعة الله أن يفعل الإنسان الطاعة على الوجه الذي شرعه الله عز وجل بدون تضجر وبدون تكره، بل ومستسلم لها غاية الاستسلام، هذا الصبر على طاعة الله.
- أما الصبر عن معصية الله أن يحبس نفسه عن مباشرة المعاصي فلا يفعلها، بل يصبر ولو شق عليه ذلك.
- والثالث الصبر على أقدار الله، يعني: على ما يقدره الله عليه من البلاء في بدنه، أو عقله، أو فكره، أو أهله، أو ماله، أو مجتمعه يصبر ويحبس نفسه عن التسخط بالقول، عن التسخط بالأركان أو اللسان أو بالجنان.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه} [غافر: ٥٦]

- إن الجدل في آيات الله ينقسم إلى قسمين:
- جدال لإثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به؛ لقوله تعالى: {وجادلهم بالتى هي أحسن} [النحل: ١٢٥].
- وجدال بالعكس لإثبات الباطل وإبطال الحق، وهذا هو المذموم، وعليه تنتزل مثل هذه الآيات الكريمة.
- إثبات آيات الله عز وجل وهي كما قلنا في التفسير شرعية وكونية.
- أن الحامل لهؤلاء المجادلين هو الكبر والتعالى؛ لقوله: {إن في صدورهم إلا كبر}.



{الخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [غافر: ٥٧]

- إثبات أن السموات والأرض أعظم من البشر وهذا واضح، بل إن البشر جزء من الأرض؛ لأنهم خلقوا من طين.
- إقامة الحجة على منكر البعث بأنكم إذا أقررتم بأن الله خالق السموات والأرض؛ لزمكم أن تقرروا بأنه قادر على خلق الناس، لأن من قدر على الأعظم فهو على ما دونه أقدر، وقد أقام الله أيضا أدلة كثيرة على إثبات البعث منها هذه الآية، وهي الاستدلال بالأعظم على الأدنى، ومنها قوله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} [الروم: ٢٧]، {وهو} الضمير يعود على الإعادة {أهون عليه} من الابتداء وهذا شيء معلوم بالحس وبالعقل.
- إثبات البعث، وجه الدلالة قوله: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون}؛ لأن المقصود من الآية تقرير البعث.



فوائد مستتبطة من تفسير سورة غافر

{وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا و عملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون} [غافر: ٥٨]

- ضرب الأمثال، وهو إلحاق المعقول بالمحسوس، وجه ذلك أن انتفاء الاستواء في الأعمى والبصير أمر معلوم بالحس، وانتفاء استواء الذين آمنوا و عملوا الصالحات والمسيء أمر معلوم بالعقل.
- أنه ينبغي لمعلم الناس أن يربط المعقولات بالمحسوسات؛ لأن ذلك أقرب إلى الفهم وأدعى إلى التصديق؛ إذ إن المحسوس لا ينكر، لكن المعقول قد يكابر فيه من يكابر وينكره.
- نفي المساواة بين الأمور المختلفة وهذا من قواعد الشريعة أنها لا تساوي بين مختلفين، ولا تجمع بين مفترقين



{الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون} [غافر: ٦١]

- كمال قدرة الله سبحانه وتعالى بإيجاد الليل والنهار، فإن هذا من عظيم قدرته جل وعلا، هل يستطيع البشر إذا طلعت الشمس أن يردوها فتغرب، وإذا غابت أن يرجعوها فترجع؟ أبدا، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: {قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (٧١) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون} فأقول: الليل والنهار الذي جعله الله للعباد لا يمكن لأحد أن يغيره إطلاقا. ثم إذا نظرنا أيضا إلى هذا الليل والنهار وتعاقبه وولوجه بعضه ببعض فهو آية أخرى، أحيانا يزيد الليل، وأحيانا يزيد النهار، من يستطيع أن يفعل ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.
- تعليل أحكام الله القدريّة، كما هو ثابت في الأحكام الشرعية يعني: أن أحكام الله الكونية لا يمكن أن تكون إلا لحكمة، يؤخذ ذلك من قوله: {لتسكنوا} واللام قلت لكم: إنها للتعليل. إذن جعل الله ذلك لنسكن.



{ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون} [غافر: ٧٥]

- أن الفرحة بغير الحق سبب للعذاب والإضلال، يؤخذ من قوله: {تفرحون في الأرض بغير الحق}.
- الفائدة الثالثة: أن الفرحة بالحق محمود؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن" وقال الله تعالى: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون} [يونس: ٥٨]، فالفرحة بالحق محمود، والفرحة بغير الحق مذموم، والفرحة بما ليس حقا ولا باطلا ليس محمودا ولا مذموما؛ لأنه من اللغو، ولكن عباد الرحمن إذا مروا باللغو مروا كراما.
- ثم اعلم أن الفرحة يكون طبيعيا، الإنسان إذا أتاه ما يسره لا بد أن يفرح يفعل بدون إرادة، ومعلوم أن هذا لا يؤخذ به الإنسان إلا إذا كانت طبيعته منحرفة بحيث يفرح بالسوء دون الخير.



فوائد مستنبطة من تفسير سورة غافر

{ويريكم آياته فأيا آيات الله تنكرون} [غافر: ٨١]

- نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده بإراءاتهم الآيات الدالة عليه، ولو شاء الله لأخفى عنا ذلك، ووكلنا إلى ما في نفوسنا وفطرنا، ولكن من رحمته أنه يظهر الآيات حتى يكون هذا عوناً على ما في الفطرة من معرفة آيات الله - عز وجل -.
- جواز تحدي الإنسان بما يعترف به لولا الجحد؛ لقوله: {فأيا آيات الله تنكرون}.



{فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون} [غافر: ٨٥]

- أن هؤلاء الذين يؤمنون بعد أن نزل بهم العذاب لا يستفيدون من إيمانهم شيئاً؛ لقوله: {فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا}.
- أن سنة الله -عز وجل- في العباد واحدة، فإنه لا يحابي أحدا لغناه، أو لفقره، أو لغير ذلك، بل إن أكرم الخلق عند الله أتقاهم؛ لقوله: {سنت الله التي قد خلت في عباده}.
- التحذير من تكذيب الرسل، وأن من كذب الرسل فإنه سيناله ما نالهم من العذاب سيناله ما نالهم؛ أي: ما نال الأمم السابقة من العذاب.
- ظهور الخسران لهؤلاء المكذبين قبل أن يموتوا؛ لقوله: {وخسر هنالك}؛ أي: حين جاءهم البأس تبين لهم الخسران {وخسر هنالك الكافرون}.

انتهى بحمد الله وفضله جمع بعض الفوائد
من تفسير سورة

(غافر)

نسأل الله تعالى أن يجعلها
نافعة لعباده مقربة لمرضاته
إنه وليّ ذلك والقادر عليه

تويتر
[@fwayidd1](https://twitter.com/fwayidd1)